

تراث القمر الصناعي سبوتنيك

استعادة لأحداث ٥٠ سنة ماضية

المقدم جون إي. شو - القوة الجوية الأمريكية

بسبب صفر حجم القمر الصناعي سبوتنيك، الكرة المعدنية التي إندرعت في المدار الأرضي قبل أكثر من ٥٠ سنة في ٤ كانون الأول ١٩٥٧ قد أحدث تأثيراً كبيراً خارقاً في الأحداث البشرية . فقد أولد التأثير المباشر لسبوتنيك الفخر العظيم للإتحاد السوفيتي والخيبة الكبيرة للولايات المتحدة. فالبلد الشيوعي الذي كان من المفروض أنه متاخر عن دول التحالف الغربي قد فاجأ العالم بحقيقة تقدمه التكنولوجي الهائلة التي يصعب التغلب عليها . ومن ثم (بمعايير منطق اليوم)، نظريته ومفاهيمه. ولا يمكن لأي أحد أن يتهرب من حقيقة أنه لا توجد أية منطقة في الولايات المتحدة تقع خارج مجال الصواريخ السوفيتية .

فحالما إنقشعـت موجـة الصـدمة المـباشرـة التي سـبـبـها القـمر الصـنـاعـي سـبوتـنيـك، مع ذـلـك، بدـأـتـ، وبـكـلـ سـخـرـيـةـ، التـأـثـيرـاتـ الطـوـلـيـةـ الـأـمـدـ تـتـسـارـعـ ضدـ أحـلـامـ وـمـصـالـحـ إـلـخـادـ السـوـفـيـتـيـ.ـ أـوـلـاـ،ـ فـيـ العـرـفـ التـقـليـديـ التـارـيـخـيـ لـلـبـوـارـجـ الـخـرـيـةـ الـأـمـرـيـكـيـةـ USS Arizona ، RMS Lusitania ، وـ USS Maine ، بالطبعـ.ـ الـهـجـومـ الـكـبـيرـ عـلـىـ مـيـنـاءـ بـيـرـلـ هـارـبرـ،ـ قدـ حـفـزـتـ "ـالـسـفـينـةـ"ـ (ـالـمـعـبـودـ)ـ الـأـيـقـونـةـ الـسـمـاـةـ سـبوتـنيـكـ وـ أـشـعلـتـ فـتـيلـ الرـغـبـاتـ الـأـمـرـيـكـيـةـ وـ قـوـتـ الإـصـرـارـ السـيـاسـيـ،ـ وـالـتـكـنـوـلـوـجـيـ،ـ وـالـثـقـافـيـ.ـ عـلـىـ عـدـمـ الـإـسـتـقـرـارـ دـوـنـ النـصـرـ فـيـ الـفـضـاءـ،ـ وـجـاءـتـ حـمـلةـ "ـالـنـصـرـ"ـ الـأـوـلـىـ لـتـتـحـقـقـ.ـ مـنـ خـلـالـ إـلـاتـفـاقـيـةـ الـضـمـنـيـةـ بـيـنـ الـقـوـيـ الـعـظـمـيـ بـوـاسـطـةـ وـعـودـ قـوـاـهـ الـبـشـرـيـةـ وـجـهـوـدـهاـ الـمـرـكـزـةـ.ـ بـالـتـسـابـقـ فـيـ الـوصـولـ إـلـىـ الـقـمـرـ،ـ وـبـالـنـهـاـيـةـ قـدـ كـسـبـتـهـ الـوـلـاـيـاتـ الـمـتـحـدـةـ فـيـ عـامـ ١٩٦٩ـ وـلـكـنـ عـارـضـ وـاحـتـجـ عـلـيـهـ الـإـلـخـادـ السـوـفـيـتـيـ حـتـىـ أـخـرـ لـحـظـةـ.

ثـانـيـاـ،ـ حـسـمـ الـقـمـرـ الصـنـاعـيـ سـبوتـنيـكـ الـقـضـيـةـ الـبـطـيـئـةـ التـقـدـمـ حـولـ طـيـرانـ الـأـقـمـارـ فـوـقـ الـأـجـوـاءـ،ـ هلـ تـسـتـطـعـ الـأـقـمـارـ الصـنـاعـيـةـ الـمـرـورـ فـوـقـ الـأـجـوـاءـ الـدـوـلـ مـنـ دونـ أيـ اـعـتـراـضـ بـيـنـمـاـ لـاـ تـسـتـطـعـ الطـائـرـاتـ مـنـ ذـلـكـ؟ـ وـبـإـسـرـاعـ السـوـفـيـتـ بـالـتـفـوـقـ عـلـىـ الـأـمـرـيـكـيـنـ فـيـ الـفـضـاءـ بـإـطـلـاقـ سـبوتـنيـكـ هـدـأـتـ الـقـضـيـةـ قـبـلـ أـنـ تـتـطـوـرـ إـلـىـ نـزـاعـ لـاـ يـخـلـوـ مـنـ خـطـوـرـةـ،ـ وـبـإـفـتـخـارـهـمـ وـزـهـوـهـمـ بـالـقـمـرـ سـبوتـنيـكـ،ـ وـالـذـيـ

مر فوق أجواء الولايات المتحدة عدة مرات خلال اليوم ويبدو للعيان في ضوء النهار الخافت لعامّة الأميركيين. فإن الإتحاد السوفيتي لم يكن بإستطاعته الإعتراض فيما بعد على طيران الأقمار الأمريكية فوق أجواههم . وبالحقيقة إن هذا القرار حول مشكلة خلائق الأقمار فوق الأجواء قد جاء لصالحة الأميركيين بمرور الوقت منذ أن أصبح الإعتماد على المعدّات المحمولة في الفضاء أكثر والقدرات على جمع المعلومات أكثر تأثيرا كلما بالغ الإتحاد السوفيتي في التكتّم.

ولكن اليوم، ومن وجها نظرنا منذ أكثر من ٥٠ عاما، ربما يكون التأثير المميز للقمر سبوتنيك، يشمل ليس ماقاد الدول العظمى للقيام به بل ماأشغلهم عنه وعلى الأخص، المواجهة المباشرة بالأسلحة التقليدية أو حتى النووية. لقد إبتدأ القمر السوفيتي شوطاً مانطلق عليه أسم "حرب الفضاء العظيم". ومع التسابق في الوصول إلى القمر، وما ترتب عليه من صراع أقمار التجسس ومحطات الفضاء، وبلغ الذروة في المواجهات حول مبادرات الدفاع الاستراتيجي. أصبح هذا نوعا من الحرب البديلة في زمن الحرب الباردة - وهي مرحلة قد تستغلاها الدول العظمى في الإسراع بتخزين المصادر، والمفاهيم الآيديولوجية ، والرغبات ضد بعضها البعض بطريقة قد تكون أقل إبادة من الحرب العلنية.

إننا حينما ننظر إلى الماضي في تراث سبوتنيك، نستطيع أن نطرح تساؤلاً معقولاً ما الذي سيتّخذ شكل وتركيب سبوتنيك القادم في الوسط الفضائي. وما هو الحدث القادم الذي سيوقد شعلة الرغبة بصورة مشابهة ويركز الإهتمام على جانب تتعلق بمجهود فضاء الأمن القومي للولايات المتحدة؟ هل ستكون بعثة صينية معلنة للقمر (ومن الممكن أن تكون للكوكب المريخ) أو حتى "بيرل هاربر فضائية" تدمر قدرات الولايات المتحدة قد تكون الحفّز القادم لإجهاض القفزة في المجهود، والتركيز، والقدرات؟ إن الدروس المستقاة من سبوتنيك كأول إنطلاق فضائية مفاجئة في محاولة الإنسان لاستثمار الوسط الفضائي، تبقى ذات أهمية كلما حاولنا البحث عن مُخطط للنهج المناسب للسيطرة والإستثمار في أعلى الواقع.

للمزيد من المعلومات أقرأ الكتب التالية:

ديكسون، چول. سبوتنيك: صدمة القرن. نيويورك: ووكر وشركاؤه ٢٠٠١.
مكدوگال، والتر أ. السماوات والأرض: التاريخ السياسي لعمر الفضاء. نيويورك: المكتبة الأساسية. ١٩٨٥.